# الفقهاء والتجاوزات السلطوية في الأندلس

# بين النصيحة الصادعة والموقف المعارض

# (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)

# Jurists and Authoritarian Abuses in Andalusia Between Decisive Advice and a Contradictory Position (١٣٨-٤٢٢ AH/٧٥٥-١٠٣٠ AD)

**م.د حمزه لؤي حمد حسن***

**M.D. Hamzah Luay Hamad Hassan**

**Email:hamzaluay٩٠٨٩@gmail.com**

**الملخص**

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن نصائح الفقهاء للأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس ومعارضتهم لهم خلال الفترة الممتدة بين **(١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)**، فقد كان للفقهاء دور كبير في استقرار الدولة، فعندما يأخذ الأمراء والخلفاء برأي الفقهاء ونصحهم ومشورتهم، سينعكس ذلك إيجاباً على سكون الرعية وطاعتهم للسلطة، لما يمتلكه الفقهاء من مكانة ومحبة بين العامة، ولكن بالمقابل عندما حاول بعض الحكام معاداة الفقهاء وإبعادهم عن بلاطهم، لاقوا معارضة شديدة هددت كيان دولتهم، فكانت المعارضة على شكل مؤامرات تهدف لخلع الحاكم أحياناً، وفي أحيان أُخرى توسعت المعارضة حتى وصلت الدعوة الى الثورة على السلطة.

**الكلمات المفتاحية: الأمير، البلوطي، التجاوزات، الخليفة، الربض، الصادعة، الفقهاء.**

**Abstract**

This research aims to reveal the advice of the jurists to the Umayyad princes and caliphs in Andalusia and their opposition to them

*وزارة التربية- مديرية تربية نينوى.

during the period extending between (١٣٨-٤٢٢ AH / ٧٥٥-١٠٣٠ AD). The jurists had a major role in the stability of the state. When the princes and caliphs take the opinion, advice and counsel of the jurists, it will be reflected This had a positive effect on the subjects' tranquility and obedience to the authorities, due to the status and love that the jurists possessed among the public. However, when some rulers tried to antagonize the jurists and remove them from their courts, they encountered strong opposition that threatened the very existence of their state. Sometimes, the opposition took the form of conspiracies aimed at overthrowing the ruler, and at other times, the opposition expanded to the point of calling for a revolution against the authorities.

**Keywords: Prince, Al-Baluti, Transgressions, Caliph, Rabadh, The shocking one, Jurists**.

**المقدمة**

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد(ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين، شهدت الأندلس خلال الفترة الممتدة من (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م) تحولات سياسية واجتماعية معقدة، رافقتها تجاوزات سلطوية متعددة تتعلق بفرض الضرائب، وقمع الخصوم، والسيطرة على القضاء، وكان للفقهاء دورهم في مواجهة هذه التجاوزات حيث تراوحت مواقفهم بين النصيحة الصادعة للسلطان، أو اتخاذ الموقف المعارض، أو العزلة تجنباً للصدام مع الحاكم، فقد تعددت أسباب المعارضة الا ان محورها يكون عندما يشعر الفقهاء بأن هناك تجاوزاً من قِبل السلطة على الحقوق والمبادئ في المجتمع الاندلسي[١].

إن الهدف الذي دفع الباحث في اختيار موضوع البحث أهميته الكبيرة في إبراز مواقف الفقهاء في التصدي لسلوكيات وتصرفات الحكام في الاندلس، ومدى تأثيرهم في قرارات الامراء والخلفاء عن طريق النصح أو مواجهتهم بحياكة المؤامرات ضدهم، فضلاً عن قيادة الثورات وتأليب العامة عليهم.

لقد تم تقسيم البحث وفق ما توفر من مادة علمية إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الاول: نصائح الفقهاء ومعارضتهم للأُمراء الامويين في الاندلس، وتم تقسيم المبحث الى أولاً: تضمنت نصائح الفقهاء الصادعة لأمراء بني امية، ثانياً: شملت معارضة الفقهاء السلمية للأمراء الامويين في القضاء، ثالثاً: احتوت على معارضة الفقهاء الثورية للأمراء الامويين، بينما تناول المبحث الثاني: نصائح الفقهاء ومعارضتهم للخلفاء الامويين في الاندلس، فتم تقسيم المبحث

(١) خليل ابراهيم الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصري الامارة والخلافة، ط١، (بيروت–دار البشائر الاسلامية، ٢٠٠٤م)، ص١٣٤.

الى أولاً: نصائح الفقهاء الصادعة لخلفاء بني امية، ثانياً: معارضة الفقهاء السلمية للخلفاء الامويين، ثالثاً: معارضة الفقهاء الثورية للخلفاء الامويين، وخاتمة البحث أوجزت أهم النتائج التي أسفرت عن البحث.

اتبع في هذا البحث المنهج العلمي الموضوعي في تمحيص الروايات التاريخية للإلمام بموضوع البحث وتفاصيله، وكانت النتائج تتجلى بدور الفقهاء في الوقوف بوجه تسلط بعض الحكام المتسلطين، وتقويم بعض سلوكيات واخطاء الامراء والخلفاء بالنصح والارشاد.

## المبحث الاول

## نصائح الفقهاء ومعارضتهم للأُمراء الامويين في الاندلس

### أولاً: نصائح الفقهاء الصادعة لأمراء بني امية

من المواقف التي كان فيها للفقهاء دور في نُصح الامراء، تلك الحادثة التي وقعت على عهد الامير الحكم بن هشام(١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)[*] وهي عندما أراد أن يعاقب أحد الخدم في قصره بقطع يده، وذلك لتقصيره في عمله، وكان حينها جالس عند الامير، الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بـ شبطون[*] الذي اعترض على حُكم الامير تجاه خادمه، وذكَّرهُ بحديث الرسول محمد(ﷺ) في كظم الغيظ حيثُ قال: "من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور العين ما شاء"[١]، فهدأ غيظ الامير وعفا عن الخادم[٢].

### ثانياً: معارضة الفقهاء السلمية للأمراء الامويين في القضاء

---

[*] الحكم بن هشام: هو الحكم بن هشام المُكنى ابا العاص، ولد في طليطلة سنة (١٥٤هـ/٧٧١م) امه ام ولد اسمها زخرف، وكان طاغياً مُسرفاً وله آثار سوء قبيحة، وهو الذي أوقع بأهل الربض الوقعة المشهورة فسمي بالحكم الربضي، وكانت وفاته سنة (٢٠٦هـ/٨٢٢م). ينظر: ابي عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الازدي الحميدي، جذوة المُقتبس في تاريخ علماء الاندلس, تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١، (القاهرة-دار الكتاب المصري، ١٩٨٩م)، ج١، ص٣٩.

[*] زياد بن عبد الرحمن: هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي المعروف بزياد شبطون، من أهل قرطبة، يكنى ابا عبد الله، سمع من مالك الموطأ، ورواه عنه في الاندلس، توفي سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م). ينظر: ابن ابو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس, تحقيق: بشار عواد, ط١، (تونس، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٨م)، مج١، ص٢١٧.

(١) سليمان بن الاشعث بن إسحاق الازدي السجستاني، سنن ابي داؤود، تحقيق: رائد بن صبري ابن ابي علفه، ط٢، (الرياض-دار الحضارة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)، ص٥٩٩.

(٢) القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارس وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: عبدالقادر الصحراوي، ط٢، (المملكة المغربية- وزارة الاوقاف، ١٩٦٨م)، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

من الممكن اعتبار رفض بعض الفقهاء تولي منصب القضاء من قبيل المعارضة لرأي السلطة، وعدم التعاون، ومن ثم عدم تنفيذ أوامرها، صحيح أن عدداً من الفقهاء كانوا يرفضون ذلك زهداً منهم بالدنيا وخشيةً ورهبة من أنفسهم في منتظر العاقبة وإيثاراً منهم أن غيرهم أكثر مقدرة وكفاءة[١].

ففي عهد الأمير عبد الرحمن الداخل[*]، استشار الأخير أصحابه فيمن يوليه القضاء في قرطبة، فأشار عليه ابنه هشام وحاجبه ابن المغيث بتولية المصعب بن عمران[*]، القضاء على مدينة قرطبة، فوجه الامير الداخل بطلب مصعب، فلما قدم عرض عليه ولاية القضاء فأبى قبولها، وذكر بعض الاعذار التي لم يقتنع بها الامير ولكن مصعب أصر على الرفض ولم يبالِ في رد طلب الامير عبد الرحمن الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)[٢]، ولربما أن هذا الموقف المعارض لتولي منصب القضاء ناجم عن عدم القناعة بسياسة الامير في ادارته للأمارة.

كما أمتنع الفقيه زياد شبطون تولي منصب القضاء للأمير هشام بن عبد الرحمن(١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)[*]، ولم يمتعض الاخير من معارضة زياد لتولي المنصب بل قال بحقه "ليت الناس كلهم كزياد، حتى ألغى أهل الرغبة في الدنيا"[٣]، ولا تسعفنا المصادر التاريخية بأي معلومات عن سبب الرفض لتولي المنصب هل بأسباب تتعلق بسياسة الامير في ادارة الدولة، أم لأسباب شخصية يُغمض معرفتها.

وقد امتنع الفقيه محمد بن عبد السلام الخشني[*] أن يتولى القضاء للأمير محمد بن عبد

---

(١) الخشني, ابو عبدالله محمد بن حارث بن اسد القيرواني الخشني، قضاة قرطبة, تحقيق: ابراهيم الابياري, ط٢, (القاهرة-دار الكتاب المصري, بيروت-دار الكتاب اللبناني, ١٩٨٩م)، ص٢٥-٢٦.

(*) عبد الرحمن الداخل: هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، يُكنى ابا المطرف، مولده بالشام سنة (١١٣هـ/٧٣١م)، امه ام ولد اسمها راح، أول امراء بني امية في الاندلس. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٧.

(*) المصعب بن عمران: هو المصعب بن عمران المكنى ابو محمد، دخل الاندلس في ايام عبد الرحمن بن معاوية، وكان راوية عن الامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي، وكان لا يقلد مذهباً، وكان خيّراً فاضلاً. يُنظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج٢، ص١٦٨.

(٢) الخشني، قضاة قرطبة، ص١٢٧.

(*) هشام بن عبد الرحمن: هو هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، يُكنى ابا الوليد، ولي بعد عبد الرحمن الداخل حكم الاندلس، وسنه حينئذ ثلاثون عاماً، فاتصلت ولايته سبعة اعوام الى ان مات في صفر سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)، وكان حسن السيرة، مُتحرياً للعدل، يعود للمرضى ويشهد الجنائز. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٩.

(٣) ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي، تاريخ قضاة الاندلس، ط٥، (بيروت- منشورات دار الآفاق الجديدة،١٩٨٣م)، ص١٢؛ الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٨؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج١، ص٢١٧.

(*) محمد عبد السلام الخشني: هو محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني الاندلسي القرطبي، الامام، الحافظ، المتقن، اللغوي، العلامة، صاحب التصانيف، حدّث عن يحيى بن يحيى الليثي. ينظر: شمس الدين محمد بن احمد الذهبي،

الرحمن(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)[*]، وكان "ممن جاهر بالإصرار على الإباية من القضاء"، وبذلك هدّد الامير محمد الخشني بالقتل إذا أصر على موقفه من الامتناع لتولي القضاء، ولما سمع الفقيه الخشني بذلك نزع قلنسوته من رأسه ومدّ عنقه وقال "أبيت! أبيت! كما أبت السموات والأرض، إباءة إشفاق، لا إباءة عصيان ونفاق"[١].

وعندما سمع الامير محمد بن عبد الرحمن رد الفقيه محمد بن عبد السلام الخشني قرر الصفح عنه وتركه، وذلك على حد قول ابن خاقان إذ قال: "فلمّا بلغه قوله هذا أعفاه"[٢].

**ثالثاً: معارضة الفقهاء الثورية للأمراء الامويين**

**١) هيج الربض الاولى سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م)**

**أ-مقدمة عن هيج الربض الاولى**

كان للسياسة التي اتبعها الامير الحكم بن هشام اثر بالغ في اندلاع الثورة في الربض، فقد عمد الامير الحكم الى استثناء الفقهاء من المشاركة في ادارة شؤون الدولة دينياً وسياسياً، وتخليه عن سياسة ابيه هشام في تقريبهم واكرامهم والاعتماد عليهم[٣]، مما أدى بتلك السياسة الى سخط الفقهاء وعدم رضاهم على الامير في ادارة شؤون الدولة، خصوصاً عندما نفذ ذلك تنفيذياً عملياً، فلم يقلدهم مناصب ادارية، ولم يجعل القضاة يصدرون حكماً الا بموافقة ضمنية منه[٤]، لذا فقد تم

---

سير أعلام النبلاء، تحقيق: شُعيب الارناؤوط ومحمد نعم القرقسوسي، ط٢، (بيروت-مؤسسة الرسالة للنشر، ١٩٨٢م)، ج١٣، ص٤٥٩؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج٢، ص٧٤.

(*) محمد بن عبد الرحمن: هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، يُكنى ابا عبد الله، امه ام ولد اسمها تهتز، كان مُحباً للعلوم، مؤثراً لأهل الحديث، عارفاً، حسن السيرة، اتصلت تولى حكم الاندلس سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) حتى وفاته سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م). ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٤٠.

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٣٣-٣٤؛ النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص١٣.

(٢) ابو نصر الفتح بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط١،(دمشق- دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م)، ج١، ص٢٨٣.

(٣) اسماعيل بن محمد الشقندي، رسالة في فضل الاندلس، كتاب ثلاث رسائل في فضائل الاندلس واهلها، نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد، (بيروت-دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م)، ص٥٢-٥٣؛ ابو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد توفيق عويطة، ط٣، (القاهرة- لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٣م)، ص ٤٤؛ احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي، بُغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط١، (القاهرة-دار الكتاب المصري، بيروت-دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م)، ج١، ص٣٤.

(٤) E.Lévi Provencal: History De L' espagne Musulmane Tome Premier La Conouete Et L'emirat Hispano-Umaiyade (٧١٠-٩١٢), (Paris, Ed. Gp. Maisonnevve. Leiden, E.D.J.Brill, ١٩٥٠), P١٥٠.

تغيير اكثر من قاضي في سنة واحدة لعدم رضاهم عن هذا الحال، كما انه لم يعد يستشيرهم في شؤون الدولة الحساسة، خاصة وان الامير الحكم كان يرغب بإدارة شؤون بلاده بنفسه دون ان يشاركه احد في اتخاذ القرار(١)، كالحكم المركزي المطلق في ايامنا هذه، فسعى الى تقليص نفوذ الفقهاء الذين صار لهم شأنٌ كبير في عهده لحاجة ابيه وجده من قبله لهم لإضفاء الصبغة الشرعية على امارتهم الجديدة، فكانوا يقربونهم بحذر دون اسناد مناصب قيادية وادارية لهم موحين لهم بأهميتهم(٢)، وهذا ما شعر الحكم بأنه ليس بحاجة اليه، فقد حصل على الصبغة الشرعية بوصفه اميراً، وتثبتت اركان دولته، ولم تعد بحاجة لمن يدعمها بقدر ما هي بحاجة لمن يسيطر عليها ويحميها.

**ب-اسباب هيج الربض الاولى**

إن من اسباب معارضة الفقهاء المستمرة للحكم بن هشام، ما ذكرته بعض المصادر انه كان: "كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب وغير ذلك مما يجانسه"(٣) وكان يجاهر بذلك امام عامة الناس، كما قال ابن حزم: "واما بنو امية بالأندلس، فجاهر منهم الحكم الربضي، الا انه لم يشرب احد من خلفائهم خمر العنب، وانما كانوا يشربون العسل المطبوخ فقط، هذا امر لاشك فيه عندنا اصلاً"(٤)، كما كان الحكم يؤثر مجالس الشعراء والندماء على مجالس الفقهاء والعلماء، الامر الذي اثار حفيظة الفقهاء وانكارهم للأمير الحكم، فأخذوا يزرعون الحقد والكراهية عليه في صدور العامة ويحرضون على النيل منه(٥).

كل ما ذكرناه اعلاه عظَّمت من سخط الفقهاء على الامير الحكم، فبدأوا بانتهاج سياسة الاعتراض عليه فوق المنابر والاساءة اليه بين الرعية في محاولة منهم الى إصلاح حاله بالنصح الصادع، او تكوين معارضة تقود الى الانقلاب ضد الامير الحكم بن هشام، فوصل بهم الامر الى المناداة بعد انقضاء الاذان: "الصلاة يا مخمور الصلاة!"(٦)، مما ادى الى التفاف المؤيدين حول

(١) ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط١، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، مج٥، ص٣٠٨.

(٢) حسين مؤنس، شيوخ العصر في الاندلس، (القاهرة-المكتبة الثقافية، ١٩٦٥م)، ص٩-١٩، ١١.

(٣) شهاب الدين احمد النويري، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: عبدالمجيد ترحيني، ط١، (بيروت-در الكتب العلمية، ٢٠٠٤م)، ج٢٣، ص٢١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٣٣٥.

(٤) ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي، رسائل ابن حزم، الجزء الثاني، تحقيق: احسان عباس، ط٢، (بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٧٣.

(٥) ابو بكر محمد بن عمر القرطبي المعروف بابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، (القاهرة-دار الكتاب المصري، بيروت- دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م)، ص٦٨؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٧.

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٣؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٧.

الفقهاء من عامة الناس بما فيهم المولدين والبربر الساخطين على الامير الحكم الذين كانوا يشعرون بنقصٍ في وضعهم الاجتماعي والسياسي وفي حقوقهم العامة[١].

**ج-نتائج هيج الربض الاولى**

بعد ان يأس العلماء والفقهاء من صلاح اميرهم الحكم بن هشام وانغماسه في الملذات اجتمعوا فيما بينهم وكان على رأسهم الفقيه يحيى بن مضر[*] والفقيه يحيى بن يحيى الليثي[٢*] والفقيه عيسى بن دينار[*] والفقيه طالوت المعافري[*] بالاشتراك مع عدد من أعلام قرطبة ورجال القصر، وقد بلغ عددهم اثنين وسبعين رجلاً[٣]، وأجمعوا على ان يولوا احد أفراد البيت الاموي وهو محمد بن القاسم القرشي المرواني[*]، اذ يذكر ابن الاثير: "اجتمع وجوه اهل قرطبة وفقهاءها، وحضروا عند محمد ابن القاسم القرشي المرواني... واخذوا له البيعة على اهل البلد، وعرفوه ان الناس قد ارتضوه كافة، فأستنظر ليلة ليرى رأيه ويستخير الله، سبحانه وتعالى، فانصرفوا"[٤]، لكن محمد بن

---

(١) الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية، ص١٤٨؛ عمارة مختار، الدور السياسي للفقهاء المالكية في الاندلس خلال العهد الاموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، (الجزائر، المدية-جامعة يحيى فارس، ٢٠٢١م)، ص ١٠٣.

(*) يحيى بن مضر: هو يحيى بن مضر يُكنى ابا زكريا قرطبي لكنه شامي الاصل، كان عالماً متفنناً، صاحب رأي، وكان ممن قُتل بسبب الهيج سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م). يُنظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج٢، ص٢٢٠.

(*) يحيى بن يحيى الليثي: هو يحيى بن يحيى بن كثير بن وهلال بن تسمال بن منقاية اصله من برابر مصمودة يكنى ابا محمد، عميد الفقهاء شيخ قرطبة وكان كبير الاكابر بقرطبة، ولدَ سنة (١٥٢هـ/٧٦٩م)، رحل الى المشرق فسمع الموطأ من مالك بن انس الذي لقبه بعاقل الاندلس، وقدم الى الاندلس بعلم كثير، توفي سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م). ينظر: ابو مروان بن خلف بن حيان القرطبي، المقتبس في اخبار الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (القاهرة-لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٩٤م)، ص٢١٨-٢١٩.

(*) عيسى بن دينار: هو عيسى بن دينار بن واقد الغافقي يكنى ابا محمد اصله من طليطلة، وسكن قرطبة، وكان له فيها رياسة، وكان يوصف بالفقه والورع وكان لا يعد في الاندلس تفقه منه في نظرائه. ينظر: ابن حيان، المقتبس، ص٢١٣.

(*) طالوت المعافري: هو طالوت بن عبدالجبار المعافري، وهو احد من روى عن الامام مالك ونظراءه، من اهل العلم، فلما وقعت حركة الربض فرّ عن داره، مختبئاً عند رجل يهودي. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٧٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٨، ص٢٥٥، ٢٥٨.

(٣) ابو العباس احمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ( بيروت-دار صادر، ١٩٥٠م)، ج٢، ص١٠٦.

(*) محمد بن القاسم القرشي المرواني: هو محمد بن المنذر بن عبدالرحمن بن معاوية الداخل المعروف بابن الشماس، من ابناء عمومة الحكم، وهو رجل صالح في عقله ودينه. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٤) الكامل في التاريخ، مج٥، ص٣٣٥.

القاسم خشي على نفسه عاقبة فشل المؤامرة[١]، وقرر الوشاية بهم الى الامير واعلامه بخيوط ما يتم تدبيره[٢]، فيذكر ابن الاثير ان محمد بن القاسم: "حضر عند الحكم واطلعه على الحال، واعلمه انه على بيعتهُ، فطلب الحكم تصحيح الحال عنده، فاخذ معه بعض ثُقات الحكم، واجلسه في قبة[غرفة أعلى البيت] في داره، واخفى امره، وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل تقلد امرهم ام لا، فأراهم المخافة على نفسه، وعظم الخطب عليهم، وسألهم تعداد اسمائهم ومن معهم، فذكروا له جميع من معهم من اعيان البلد، وصاحب الحكم يكتب اسمائهم، فقال لهم محمد بن القاسم: يكون هذا الامر يوم الجمعة ان شاء الله، في المسجد الجامع"[٣] وبذلك تكون المؤامرة قد انكشفت بكل تفاصيلها للحكم بن هشام الذي لم يتوانى في القضاء على مدبريها ليلة يوم الخميس، فألقى القبض على بعض المتآمرين ضده، فيصف ابن حيان ما حل بالفقهاء على يد الحكم الربضي قائلاً: "وهو الذي اوقع بأهل الربض، وقتل الفقهاء والخيار وخصى عدداً من ذوي الجمال من اهل قرطبة"[٤]، ولم ينجوا من بطش الامير سوى "عيسى بن دينار، فقيه الاندلس، ويحيى بن يحيى وغيرهم"[٥] بعد ان تمكنوا من الفرار بأنفسهم، هذا وقد امر الحكم بن هشام بصلب اثنين وسبعين رجلاً بقرطبة منهم: ابو كعب بن عبد البر ويحيى بن مضر ومصرور الخادم[٦] وقد اشار القاضي عياض الحادثة بقوله: "امر الامير بصلبهم على شط نهر قرطبة، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من الفقهاء واهل الصلاح، وقيل كان عدد من صُلب مائة واربعين"[٧].

كما حدد الصفدي عدد الفقهاء الذين قتلهم الامير الحكم بن هشام اذ قال انهم: "بلغوا سبعين نفساً وكان يوماً فضيعاً[قاسياً على المدينة واهلها][٨]، وعلى ما يبدو ان ردة الفعل القاسية للأمير الحكم بن هشام تجاه المتآمرين ضده دلالة واضحة على عمق التصادم بينه وبين طبقة العلماء والفقهاء لشدة معارضتهم له، فكان لهذه الحادثة اثراً بالغاً ايضاً في بغضاء قلوب العامة تجاه السلطة الحاكمة وعلى رأسها الامير الحكم لما تمتلكه طبقة الفقهاء والعلماء من مكانة في حياة

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٨؛ ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, تحقيق: احسان عباس, (بيروت–دار صادر، ١٩٨٨م)، مج١، ص٣٣٩.

(٢) ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص١٢٧.

(٣) الكامل في التاريخ، مج٥، ص٣٣٥–٣٣٦.

(٤) ابن حزم، رسائل ابن حزم، ص ٨٧.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٨.

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٣٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٦.

(٧) ترتيب المدارك، ج٣، ص١٢٧.

(٨) صلاح الدين خليل بن ايباك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (بيروت–دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ج١٣، ص٧٤.

الناس.

**٢) هيج الربض الثانية سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م)**

**أ-مقدمة لهيج الربض الثانية**

يبدو بأن النكبة التي تعرض لها العلماء والفقهاء في هيج الربض الاولى سنة (١٩٩هـ/٨٠٤م)، قد غرست في قلوب الناس الحقد والكراهية تجاه الامير الحكم بن هشام، فيصف ابن عياض ذلك قائلاً: "فعظم ما فعل بهم [الفقهاء والعلماء] في قلوب الناس، وغدوا له على جدة، لم يزالوا متربعين للوثوب به، الى ان قاموا القيامة[أعلنوا الثورة] بوقعة الربض التي اصطلموا فيه"(١).

اجتمع في الربض عدد كبير من الفقهاء وطلبة العلم، بلغ عددهم ما يقارب اربعة الاف فقيه وطالب(٢)، وبهذا الصدد يروي الذهبي قائلاً: "كان بقرطبة أربعة آلاف مُتقلس متزيَّين بزيّ العلماء، فلما اراد الله فناءهم، عز عليهم انتهاك الحكم للحرمات، وأتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا ليقتلوه"(٣)، وكان الامير الحكم بن هشام مُدرك لمشاعر الناس تجاهه، "فشرع في تحصين قرطبة وعمارة اسوارها، وحفر خنادقها، وارتبط الخيل على بابه واستكثر من المماليك، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح"(٤) وانشأ بوابة حديدية جديدة تؤدي للأرباض الشرقية، حيث معسكرات الجند(٥) فزاد ذلك في حقد اهل قرطبة عليه(٦).

وفاقم من سخط العامة تجاه السلطة الضرائب الجديدة المرهقة التي فرضها الامير الحكم عليهم، لاسيما وان الاخير عين احد النصارى المعاهدين لجباية هذه الضرائب منهم وهو المدعو ربيع القومس(*) الذي اساء لهم وظلمهم، فكثرت الشكاوي عليه، الامر الذي فاقم من معاناة الناس، حتى بلغ بهم الحال انهم تعرضوا للأمير بالقول وهو يمر من سوق الربض(٧)، مما جعل الامير الحكم بن هشام يأمر بالقبض على "عشرة من رؤساء سفهائها فقتلهم، وصلبهم، فهاج لذلك اهل

(١) ترتيب المدارك، ج٣، ص١٢٧.
(٢) النويري، نهارية الارب، ج٢٣، ص٢١٨.
(٣) سير اعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٥.
(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٣؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٧.
(٥) Provencal, History De L' espagne, p ١٦٩.
(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٣؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٧.
(*) ربيع القومس: هو ربيع بن تيودلفو، احد المستعربين المسيحيين من اصل اسباني. ينظر:
Provencal, History De L' espagne, p ١٦٤.

(٧)عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والاندلس، ط١، (الاردن، عمان- دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص١٩٧.

الربض"[١]، كما تهجم الناس على الامير الحكم بالحجارة في اثناء مسيره بقرطبة، محاولين قتله، لكن محاولتهم باءت بالفشل بعد تمكن حرسه من حمايته وفتح الطريق له للوصول الى القصر[٢].

**ب-السبب المباشر لهيج الربض الثانية**

كان لابد من شرارة لإعلان الثورة على الامير الحكم بعد كل تلك الاحداث، فجاء مقتل حداد من اهل الربض على يد احد حراس القصر بعد ان طلب منه تصليح سيفه فاخذ الحداد في التهكم والاستهزاء به حتى غضب فقام بضرب الحداد فقتله الامر الذي اثار هياج اهل الربض فاعلنوا العصيان ضد السلطة، وهتفوا بخلع الامير الحكم بن هشام، واتجهوا الى القصر وفي مقدمتهم الفقهاء واهل الفتية مثل الفقيه طالوت بن عبدالجبار، والفقيه يحيى بن يحيى الليثي وغيرهم من الفقهاء[٣]، "واجتمع اهل الارباض جميعهم بالسلاح واجتمع الجند والامويون والعبيد بالقصر، وفرق الحكم الخيل والاسلحة، وجعل اصحابه كتائب"[٤].

**ج-نتائج هيج الربض الثانية**

وقع القتال بين الطرفين وكانت الغلبة في البداية للثوار حيث حاصروا القصر، وكادوا يقضون على الامير الحكم[٥]، ولكن الامير الحكم بن هشام استعان بكبير قادته عبيد الله بن عبد الله[*] واستخدم الحيلة والدهاء في تشتيت صفوف الثائرين عندما: "امر ابن عمه عبيد الله فثلم في السور ثلمة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، واتى اهل الربض من وراء ظهورهم ولم يعلموا بهم فاضرموا النار في الربض وانهزم اهله وقتلوا مقتلة عظيمة، واخرجوا من وجدوا في المنازل والدور فأسروهم، فانتقى من الاسرى ثلاثمائة من وجوههم فقتلهم وصلبهم منكسين، واقام النهب والقتل والحريق والخراب في ارباض قرطبة ثلاثة ايام"[٦].

فبعد ثلاثة ايام من استباحة الربض في القتل شاور الامير الحكم بن هشام كاتبه فطيس بن

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٣؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٧.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٣٣٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٤؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٨؛ المقري، نفح الطيب، الطيب، مج١، ص٣٣٩.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٤؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص٢١٧.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٤.

(*) عبيد الله بن عبد الله: هو عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية، أكبر قادة الحكم بن هشام، كان يعرف بصاحب الصوائف، كان له دور كبير يوم الهيج. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، (القاهرة- دار المعارف، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٣٦٤.

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٤؛ لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب السلماني، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١, (بيروت-دار الكتب العليمة، ٢٠٠٣م)، ج٢، ص١٧.

سليمان[*] الذي اشار عليه بالبطش ضد المتمردين، الا ان حاجب الامير عبدالكريم بن عبدالواحد[*]، اعترض على رأي الكاتب واشار الى الامير بان يعفوا عن اهل الربض لثلاثة ايام ليسمح لهم بالخروج منه، فاقتنع الامير الحكم برأيه وسمح لأهل الربض بالخروج، فخرج عدد كبير من الفقهاء والعلماء وطلبة العلم واصحاب المهن الى بلاد المغرب، حيثُ نزل عدداً غفير في مدينة فاس[*]، وذهب البعض الآخر الى الاسكندرية[*] في مصر، وكان عددهم خمسة عشر الفاً ونزلَ ألوفً منهم في طليطلة[١]، وبعضٌ آخر انتشر في اماكن متفرقة من الاندلس.

نستلهم من هذه الحركة الثورية ضد السلطة دور الفقهاء والعلماء في حث الناس على مقارعة تسلط الحاكم، فلم يكن ينقص ثورتهم من اجل نجاحها سوى التنظيم والتخطيط المُحكم، وتعتبر هذه الحركة اوسع معارضة سياسية يعلنها الفقهاء والعلماء بوجه السلطة وأخطرها، وذلك لدورهم الكبير في تحرض العامة على الثورة، فضلاً عن كثرة من اشترك منهم فيها[٢].

على ما يبدو ان تلك المعارضة التي قادها الفقهاء والعلماء تجاه الامير الحكم وان فشلت سياسياً وثورياً، الا انها ادت الى تغيير سياسة الامير الحكم فيما بعد، حيث اظهر احترام المشاعر الدينية، وعمد الى تقريب الفقهاء، حتى أنه بعث الامان الى الفقيه يحيى بن يحيى الليثي الذي كان قد فر الى طليطلة[*] بعد هيجة الربض الثانية[١]، كما عمد الحكم الى استشارة الفقهاء والتعاون

---

[*] فطيس بن سليمان: هو فطيس بن سليمان بن عبدالملك بن زيان، المكنى ابو سليمان الكاتب، باني بيت الوزراء بني فطيس، دخل الاندلس في ايام الامير عبدالرحمن بن معاوية، فضمه الى ابنه هشام وكتب له حتى اسند اليه، ولاه السوق وكورة قبرة والوزارة، وامضاه الى عهد الامير الحكم بن هشام وكان كاتباً عنده. ينظر: ابن حيان، المقتبس، ص٣١٨؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٥.

[*] عبدالكريم بن عبدالواحد: هو عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، المكنى ابو حفص، بليغا، مفوهاً شاعراً، عمل في منصب الحجابة للأمير الحكم بن هشام، وعرف ببراعته الادارية والسياسية. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣٥-١٣٦.

[*] فاس: مدينة كبيرة مشهورة في بلاد البربر على بر المغرب، وهي حاضرة البحر واجل مدنه. ينظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٢٣٠.

[*] الاسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الاسكندر بن فيليبش فنسبت اليه، وهي على ساحل البحر الملح (البحر المتوسط). ينظر: ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميري الصنهاجي، الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس، ط٢, (بيروت-مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ص٥٤.

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٧.

(٢) الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية، ص١٥٥.

[*] طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالاندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم، وهي على شاطئ نهر تاجة وعليه القنطرة التي يعجز الواصف عن وصفها. ينظر: شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، مُعجم البلدان، (بيروت-دار صادر، ١٩٧٧م)، مج٤، ٣٩-٤٠.

معهم واعلن ندمه على ما ابداه من قسوة تجاههم وما اقترفه من ذنوب وآثام، وبهذا الصدد يذكر ابن عذاري: "انه عتب نفسه فيما تقدم منه عتاباً، وتاب الى الله متاباً، ورجع الى الطريقة المثلى، وقال: ان الآخرة هي الابقى والاولى؛ فتزَّين بالتقوى، واعتصم بالعُرْوة الوثقى؛ واقرَّ بذنوبه واعترف"(٢)، واقترنت احداث الربض بالأمير الحكم وصار يُعرف بعدها بالحكم الربضي(٣).

**٣) دور الفقهاء في محاولة تمرد الامير المطرف بن عبدالله على ابيه**

يتجلى اثر الفقهاء السياسي المعارض بشكل واضح في اجتماعهم على رفض محاولات الامير المطرف بن عبدالله(*)، في دعوتهم لمساندته في التمرد على ابيه للاستيلاء على الحكم، وأن رفضوا فمصيرهم للتنكيل(٤)، فاجتمعوا برئاسة الفقيه عبيد الله بن يحيى، ومحمد بن عمر بن لبابة، وتوجهوا لملاقاة الحاجب سعيد ابن السليم(*) بُغية اطلاعه على نوايا المطرف في رغبته بالخروج على ابيه وخلعه واجبارهم على البيعة له، اذ قالوا له: "إنا قد بُغينا على الجلاء عن دورنا بإخافة مطرف لنا، ورغبته الينا في البيعة له، وخلع ابيه، فإن كنتم تحموننا، وإلا صرنا الى الجلاء، فمعنا علوم لسنا نفقد من يُكرمنا بها حيثُ توجهنا" فوجد فيها الامير عبدالله الفرصة المواتية لأبعاد ابنه الطامح الى الحكم الذي قتل اخاه محمد من قبل بنفس التهمة ممهدا الطريق لنفسه وقتل المطرف في داره(٥).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص٢١٩؛ ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة–دار المعارف، ٢٠٠٩م)، ج٢، ص٤٣.

(٢) البيان المغرب، ج٢، ص١٢٠؛ وينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦–٤٧.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٧٤؛ الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية، ص١٥٥.

(*) المطرف بن عبد الله: هو المطرف بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم الاموي ولد في قرطبة ، كان شجاعاً مقداماً، جرياً، صرفه والده الامير في الغزوات وقيادة العساكر وهو الذي بنى حصن لوشة. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٧–٣٦٨.

(٤) بن حاج ميلود، علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في الحياة السياسية بالأندلس ما بين القرنين ٢–٥هـ/٨–١١م (عصري الامارة والخلافة الأموية)، مجلة دراسات وابحاث المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد ١٠، عدد٤، (د.م–جامعة الجفلة، ٢٠١٨م)، ص٢٣٢–٢٣٣.

(*) سعيد بن السليم: هو سعيد بن المنذر بن معاوية القرشي، المعروف بابن السليم، ينتهي نسبه الى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك. ينظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ص٨٦.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص١١٧–١١٨؛ ميلود، علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في الحياة السياسية بالأندلس، ص٢٣٣.

## المبحث الثاني

## نصائح الفقهاء ومعارضتهم للخلفاء الامويين في الاندلس

### أولاً: نصائح الفقهاء الصادعة لخلفاء بني امية

### ١) نصائح الفقيه المنذر البلوطي للخليفة عبد الرحمن الناصر

إن أبلغ النصائح الصادعة التي واجهها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر(٣١٦-٣٥٠هـ/٩٢٩-٩٦١م)[*]، كانت من قبل أشهر علماء عصره ألا وهو الفقيه القاضي منذر بن سعيد البلوطي[*]، الذي ولاه الخليفة الناصر لدين الله قضاء الجماعة بقرطبة وظل قاضياً حتى وفاة الخليفة، وولي القضاء لابنه الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) [*] حتى وافاه الاجل عن عمرٍ بلغَ اثنان وثمانون عاماً[١].

عندما بنى الخليفة عبد الرحمن الناصر المجلس بقصر الزهراء، كان يتابع الصنّاع بنفسه، ولا يوكل ذلك إلى غيره حتى ترك الذهاب للصلاة في الجامع وشهود الجمعة لمدة ثلاث جمع متواليات، فلما كمل البناء خرج في الجمعة الرابعة فصلى بالجامع، وكان خطيب الجامع يومئذ الفقيه القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وكان رجلاً صالحاً لا تأخذه في الله لومة لائم ويصفه ابن الفرضي قائلاً: بأنه "صُلباً، صارماً، غير هيّاب ولا جبان"[٢]؛ بينما يصفه المقري قائلاً: "وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه، والمهابة في أقضيته، وقوة الحكومة، والقيام بالحق في جميع ما يجري

---

[*] عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، ولي حكم الاندلس بعد جده الامير عبد الله بن محمد سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)، وكان عمره اثنان وعشرون سنة، كان شهماً صارماً، بذل جهوداً كبيرة في توطيد جميع اقطار الاندلس في طاعته، وتسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالناصر لدين الله بعد ان اعلن الخلافة في الاندلس سنة (٣١٦هـ/٩٢٩م)، واتصل حكمه للأندلس حتى وفاته سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م). ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٤١-٤٢.

[*] منذر بن سعيد البلوطي: هو المنذر بن سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قاسم البلوطي، المكنى ابو الحكم ولد في عام (٢٧٣هـ/٨٨٦م) في مدينة فحص البلوط المنسوب اليها قرب قرطبة على عهد الامير المنذر بن محمد ويعود نسبه الى البربر من فخذ يدعى كزنة، كانت وفاته سنة (٣٥٥هـ/٩٦٦م)(الحميدي، جذوة المقتبس، ج٢، ص٥٥٥؛ عبدالرحمن بن محمد الهيباوي السلجماسي، قاضي الاندلس الملهم وخطيبها المفوه الامام منذر بن سعيد البلوطي مع تحقيق رسالتي مخطوطتين من تراثه، ط١، (بيروت-دار البشائر الاسلامية، ٢٠٠٢م)، ص٢٥ وما بعدها.

[*] الحكم المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر، يلقب بالمستنصر لله، تولى حكم الاندلس وعمره ٤٧عاماً، يُكنى ابا العاص، كان حسن السيرة، جامعاً للعلوم، مُحباً لها، مُكرماً لأهلها، امتدت خلافته للأندلس من سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) وحتى وفاته سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م). ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٣.

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٤٢-٤٣؛ الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٣٧.

(٢) تاريخ علماء الاندلس، مج٢، ص١٨١.

على يده، لا يهاب في ذلك الأمير الاعظم فمن دونه"[١]، في أحد الايام رأى القاضي منذر الخليفة الناصر لدين الله قد خرج إلى الصلاة، وأراد منذر ذلك اليوم نصحهُ وعظته وتنبيههُ على تركه شهود الجمعة واشتغاله بالبناء[٢]، وهذا لا يجوز استناداً الى الحديث النبوي الشريف: "من ترك الجُمعة ثلاثَ مراتٍ تهاوناً بها طُبِعَ على قلبه"[٣]، واستمر الفقيه خطبته بكلامٍ جزل وقولٍ فصل، فأتى بما يناسب المقام من التخويف بالموت والتحذير من فجأته ودعا الى الزهد في هذه الدار الفانية، والحض على اعتزالها، والرفض لها، بتلاوته قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) ﴾[٤]، فلما سمع ذلك الناصر علم أنه المراد بذلك فقال لولده الحكم: "والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي"[٥]، فأجابه الحكم قائلاً: فما الذي يمنعك من عزل منذر عن إمامة الصلاة بك والاستبدال بغيره اذا كرهته, لكن الناصر زجره وانتهره، وقال له: إن القاضي منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا يُعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد, هذا ما لا يكون وإني لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل منذر في ورعه وصدقه، ولكنه أحرجني، فأقسمت، ولوددت اني اجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى، فما اضننا نعتاض منه ابداً[٦]، وفي رواية اخرى يبدو بأنها أقرب للصواب أن الحكم

---

(١) نفح الطيب، مج١، ص٥٧٣.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، (مدريد-المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، ١٩٨٣م)، ج٢، ص١٦٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧٠؛ سعيد عبدالفتاح عاشور وسعد زغلول عبدالحميد واحمد مختار العبادي. دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، (القاهرة-دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م)، ص١٤٨؛ نورالدين, رانيا عدلي نور الدين، قرطبة عروس الاندلس، ط١، (د.م-عصير الكتب للنشر، ٢٠٢٠م)، ص٩٣.

(٣) محمد ناصر الدين الالباني، صحيح سنن ابن ماجه لابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ط١، (الرياض- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ص٣٣٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة الشعراء، آية ١٢٨-١٣١.

(٥)النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص٦٩-٧٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧٠-٥٧١؛ السجلماسي، قاضي الاندلس، ص١١١؛ محمد فيصل ملحم، صفحات من تاريخ الدولة الاموية والاندلس، ط١، (دمشق-دار الفيحاء، ٢٠٠٤م)، ص٢٨٨.

(٦) ابو عبدالله محمد بن ايوب بن غالب، فرحة الانفس في تاريخ الاندلس (نشر بعنوان نص اندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الانفس لابن غالب عن كور الاندلس ومدنها ما بعد الاربعمائة)، تحقيق: لطفي عبد البديع، (القاهرة- مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٥م)، مج١، ج١، ص٣٠٣-٣٠٤؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧١؛ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ط١، (القاهرة-دار السلام، ١٩٩٨م)، ص١٣٤.

اعتذر عن المنذر، وقال: "يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، ما أراد إلا خيراً، ولو رأى ما فعلت، وأنفقت من الأموال، وحسن تلك الأبنية لعذرك"(١).

يذكر النباهي عن انكار القاضي المنذر بن سعيد البلوطي إسراف الخليفة الناصر في البناء والعمران، "ان الناصر كان قد اتخذ، لسقف القبيبة (المصغرة الاسم للخصوصية) التي كانت مماثلة على الصرْح المُمَرَّد المشهور شأنُه بقصر الزهراء، قراميد مغشاةً ذهباً وفضةً، انفق عليها مالاً جسيماً، وقَرْمَد سقفها بها، تُشَتِّ الأبصار بأشَّعةِ انوارها"(٢)، فأمر الخليفة الناصر لدين الله بفرش القصر، وفرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديباج، وأمر بالأطعمة فصُنعت وجلس فيها إثر اتمامها(٣)، ثم بعث إلى الفقهاء والعلماء والصُلحاء والوزراء والقواد والقضاة فحضروا وأخذوا مجالسهم، وقعد الناصر في صدر المجلس على سرير مُلكه، مُفتخراً عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة: وقال لهم "هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل هذا أو قدرَ عليه؟ فقالو: لا والله يا أمير المؤمنين، وإنك لأوحد في شأنك كله، وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملكٌ رأيناه، ولا انتهى الينا خبره، فأبهجه قولهم وسره"(٤)، فكان آخر من دخل المجلس القاضي منذر منذر بن سعيد البلوطي فوجد المكان قد غص بالناس، فأومأ إليه الناصر أن يقعد إلى جانبه، فقال له: يا أمير المؤمنين إنما يقعد الرجل حيثُ انتهى به المجلس، ولا يتخطى الرقاب، فجلس في آخر الناس مرتدياً ثياب رثة، والكل مُندهش من روعة بناء المجلس وإتقانه وإحكامه، ويبالغون في الثناء على الخليفة، ويطنبون في ذلك، ومنذر ناكس الرأس، فلما أخذ مجلسه سأله الخليفة، وأنت أيها القاضي كيف رأيت هذا المجلس؟ فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له: "والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته، وفضَّلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين، قال: فانفعل عبد الرحمن لقوله، وقال له: انظر ما تقول، وكيف انزلني منزلتهم؟ قال: نعم، أليس الله تعالى يقول ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا

(١) مؤلف مجهول، تاريخ افتتاح الاندلس، ج٢، ص١٦٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧١.
(٢) تاريخ قضاة الاندلس، ص٧١؛ وينظر: المقري, نفح الطيب، مج١، ص٥٧٣-٥٧٤.
(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧١؛ مؤلف مجهول، تاريخ افتتاح الاندلس، ج٢، ص١٦٥.
(٤) المقري, نفح الطيب، مج١، ص٥٧٤.

وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) [١]، فوجم الخليفة، وأطرق مَليّاً ودموعه تتساقط خشوعاً لله تعالى"[٢]، فأقبل الخليفة على منذر البلوطي وقال له: "جازاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً، وعن الدين والمسلمين أجلَ جزائه، وكثرَ في الناس امثالك، فالذي قُلت هو الحق، وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى، وأمر بنقض سقف القبيبة، وأعاد قرمدها تُراباً على صفة غيرها"[٣].

وكان للقاضي المنذر بن سعيد البلوطي ابيات شعرية حول عمارة الخليفة الناصر لمدينة الزهراء يقول فيها[٤]:-

يا باني الزهراء مستغرقاً أوقاتـه فيها أما تمهـل
لله مـا أحسنهـا رونقـاً لو لم تكن زهرتها تذبل

فرد الناصر قائلاً: "إذا هب عليها نسيم التذكار والحنين، وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى، فقال منذر اللّهم اشهد أنّي قد بثثتُ ما عندي ولم آلُ نُصَّحاً"[٥]، ولقد صدق القاضي منذر فان الزهراء لم تُعمر طويلاً، فقد تهاوت بسرعة، اذ بدأ الذبول يمشي إليها، والخراب يطرق أبوابها شيئاً فشيئاً، حتى دكت معالمها على زمن الفتنة وتصارع الامويين على الحكم سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، فخُربت الزهراء واندثرت معالمها، وصار الناس لا يعلمون من أمرها شيئاً[٦]، وذلك إن نصيحة القاضي المنذر بن سعيد البلوطي للخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، تمثل صورة رائعة من محاسبة العلماء للحكام، وتلك هي الطريقة المُثلى، وذلك هو حكم الاسلام المفروض في وجوب محاسبة الحكام[٧].

**٢) الفقيه ابو محمد الباجي ونصائحه للحاجب المنصور(٢٩١-٣٧٨هـ/٩٠٣م-٩٨٨م)**

---

(١) القرآن الكريم، سورة الزخرف، آية ٣٣-٣٥.

(٢) المقري, نفح الطيب، مج١، ص٥٧٤.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ افتتاح الاندلس، ج٢، ص١٦٦؛ ابن غالب، فرحة الانفس، مج١، ج١، ص٣٠٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٤٠؛ المقري, نفح الطيب، مج١، ص٥٧٤.

(٤) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧٦؛ عبدالحليم عويس، التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، (القاهرة-دار الصحوة، ١٩٩٤م)، ص١٠-١١؛ احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، (بيروت-دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م)، ص٢٠٨.

(٥) المقري, نفح الطيب، مج١، ص٥٧٦.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ص٩٥؛ عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي، تاريخ ابن خلدون المُسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في ايام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت-مؤسسة جمال، ١٩٧٩م)، مج٤، ص١٥١.

(٧) عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والاندلس، ط١، (الاردن، عمان- دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص٢٧٠؛ نور الدين، قرطبة عروس الاندلس، ص٩٥.

يُحكى أن الفقيه ابا محمد الباجي[*] دخل يوماً على الحاجب المنصور بن ابي عامر[*]، وقال له أصلحك الله يا حاجب، وحفظك ووفقك وأحسن عونك، فرد عليه ابن ابي عامر رداً جميلاً، وبجله ووقره، وأجلسه الى جانبه، وسأله عن حاله وأحواله، فرد الباجي عليه بتمام الحال، ما دُمت انت بخير، ثم امتدح الباجي والد المنصور بن ابي عامر، اذ كان من اهل الخير والعافية، والصلاح والعفة، والحرص على الطلب والمعرفة، ولم يكن فضولياً البتة، وحاول الباجي مقارنة المنصور بأبيه قائلاً له: "واما انت فلم تمتثْله، وادخلْتَ يدك في الدنيا، فانغمستَ في لُجّها، وطلبت الفضول، فعلمتَ اخباراً كثيرة، وأوَبقت نفسك والله يا مغرور، وعزَّ عليَّ انتشابك، فقال له ابنُ ابي عامر: يا فقيه، هكذا صاحب الدنيا: لا بد ان يخلط خيراً بشرٍ، ويأتي معروفاً ومنكراً؛ والله يتوب على من يشاء برحمته"[١]، ولعل نصح الفقيه الباجي للمنصور بن ابي عامر بهذه الحدة، عن مدى تعلقه بحب الدنيا ونعته بالغرور دون خوف او وجل، ما هي الا دلالة واضحة عن دور الفقهاء في تقويم سلوك الحكام بالنصح والارشاد، وتعبيراً عن مكانة الفقهاء الرفيعة بين اروقة البلاط.

**ثانياً: معارضة الفقهاء السلمية للخلفاء الامويين**

اتسمت مواقف الفقهاء على عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر بالتذبذب من حيثُ مطاوعة الحاجب، أو الرفض لقراراته أحياناً، فعندما طلب الحاجب المنصور بن ابي عامر من الفقيه احمد بن عبد الملك الاشبيلي[*]، تولي منصب القضاء مرتين رفضَ بإصرار[٢]، وكان الفقيه احمد بن عبد الملك يقول: "اعوذ بالله من ذلك ... فإني لا أستطيع ولا أصلح ... لكبري وضعفي ووالله لقد صدقتك، فانظر للمسلمين وانصح لإمامك- وفقه الله! فتركه"[٣].

لقد واجه المنصور بن ابي عامر معارضة شديدة من قبل عدد من العلماء الذين جمعهم بالمسجد الذي بناه في مدينة الزاهرة الواقعة بطرف قرطبة الشرقي، عندما استفتاهم بجواز اقامة

---

[*] الفقيه ابا محمد الباجي: هو عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي، المعروف بابن الباجي، ولد سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م)، من اهل اشبيلية، يكنى ابا محمد، كان صدوقاً، حافظاً للحديث، بصيراً بمعانيه، توفي سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج١، ص٣٢٤.

[*] المنصور بن ابي عامر: هو محمد بن عبد الله بن محمد ين عبدالله بن عامر بن ابي عامر، اصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة وهو شاب، فطلب فيها العلم والادب وسمع الحديث، وعمل في خدمة الخليفة الحكم المستنصر، ثم حاجباً للخليفة هشام المؤيد، ثم استأثر بالحكم دون الاخير مؤسساً الحجابة العامرية. ينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨.

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٧٣-٢٧٤.

[*] احمد بن عبد الملك الاشبيلي: هو ابو عمر احمد بن عبد الملك بن هاشم المعروف بابن المكوى، مالكي من اهل الاندلس. ينظر: ابراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، ط١، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ص١٠٠.

(٢) الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية، ص١٤٢.

(٣) النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص١٣.

الخطبة في المسجد الجديد ولكن رأيه جوبه بالرفض من قبل الفقهاء وعلى رأسهم اصبغ بن الفرج[*] لانهم رأوا بأنه: "لا يُجمع في مصر واحد في جامعين"[١]، ولم يُفتي للمنصور في مطلبه سِوى إبن العطار الذي رأى بجواز ذلك لاتساع البلد، وعندما دعا ابن ابي عامر اصبغ بن الفرج الى تولي الصلاة والخطبة في مسجد الزاهرة رد الاخير قائلاً: "سبحان الله يا منصور انا لا ارى اقامة الجمعة به، فكيف اقوم بها، والعوض مني كثير؟ فألزمه المنصور ذلك، واظهر اكراهه عليه.. فلج وامتنع، واقسم على ذلك ولو ناله العقاب" سخِطَ المنصور بن ابي عامر من موقف اصبغ بن الفرج فأصدر قراراً بعزله عن القضاء والفتيا[٢]، كما سخط المنصور ايضاً من ابي بكر بن وافد وعزله عن الشورى والشهادة والزمه داره، اما بقية الفقهاء الذين عارضوا رأيه فقد تركهم ولم يحاسبهم على موقفهم[٣]، ولعل من هذا الموقف المعارض الذي ابداه الفقهاء والعلماء تجاه ما كان يبتغيه المنصور بن ابي عامر دلالة على قوة مواقفهم وصلابتها تجاه السلطة غير مبالين لردة الفعل التي من الممكن ان يتخذها الحاكم

**ثالثاً: معارضة الفقهاء الثورية للخلفاء الامويين**

**١) دور الفقهاء في محاولة الانقلاب على الخليفة عبد الرحمن الناصر**

تعاون بعض الفقهاء مع الامير عبدالله بن الناصر لدين الله للإطاحة بوالده واخيه وتولي سُدة الحكم بعدما عُينَ اخاه الحكم ولياً لعهده، الامر الذي ادى الى منافسة شديدة بين الاخوين، خاصة في ميدان العلم[٤]، ويبدو انه تطلع الى الخلافة في حياة والده وتابعه قوم واخفوا امرهم وبيتوا على اغتيال والده واخيه الحكم ولي العهد، فبلغ الخبر الى مسامع الخليفة الناصر، "وعرَّفَ الوزراء بخبر ولده عبد الله، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبرأ منه. وأعلمهم بمسارعته الى القبض عليه"[٥]، وكان الفقيه احمد بن عبد البر[*]، والفقيه الآخر احمد بن

---

[*] اصبغ بن الفرج: هو اصبغ بن الفرج بن فارس الطائي، احد اكابر علماء قرطبة وزعماء المفتين بها، فقيهاً جليلاً بصيراً برأي مالك واصحابه، عارفاً بعلم الوثائق، ولي القضاء فحمدت سيرته. ينظر: ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٥٩؛ الديباج المذهب، ص١٦٠.

(١) ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٦٠.

(٢) ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٦٠؛ احمد بدر، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري(عصر الخلافة)، (دمشق- مطبعة الف باء-الاديب، ١٩٧٤م)، ص٣٨.

(٣) ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٦٠-١٦١.

(٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٦.

(٥) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٧.

[*] احمد بن عبد البر: هو احمد بن محمد بن عبد البر المكنى ابو عبدالملك، من اهل قرطبة، من موالي بني امية، صاحب التاريخ، سمعَ من محمد بن احمد الزراد وابن لبابة وجماعة سواهم، كان بصيراً بالحديث، فقيهاً، نبيلاً، متصرفاً في فنون العلم، توفي في السجن سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م) على اثر قصة العاق عبدالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج١، ص٨٢-٨٣.

العطار[*]، قد وجدا رفقة الامير عبدالله في ليلة القبض عليهما، وهم من ابرز من اتُهم من الفقهاء بالتحريض على الخروج على الناصر، فأمر الناصر بسجنهم في الزهراء، وقال بحقهم: "ما اعجب الا من مكان ابن العطار عنده! ما الذي ادخله في هذا مع غباوته وقلة شره؟ واما ابن عبد البر فأنا اعلم انه الذي زين لهذا العاق ذلك ليكون قاضي الجماعة[*] ويأبى الله ذلك"[١]، وقرر الناصر معاقبة ابن عبد البر في عيد الاضحى الذي كان التدبير عليه فيه، فتم ذلك وقتله في السجن وسُلم الى اهله فدفن بمقبرة الربض، وكان ذلك في سنة ثلاثمائة وثمان وثلاثين[٢]، نستنتج من هذه الحادثة مدى قوة وتأثير الفقهاء، حتى وصل بهم الحال الى دفع الولد في التمرد على ابيه.

**٢)محاولة الفقهاء عزل الخليفة هشام المؤيد**

دبرَ قاضي الجماعة عبدالملك بن منذر[*] ومعه الفقيه قاسم بن خلف المعروف بالجبيري رفقة جماعة من الفقهاء واهل العلم، وعدد من كبار رجال البلاط، الذين كانت جل وظائفهم من مراتب القضاة سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م) مؤامرة سعياً منهم في الاطاحة بالمنصور بن ابي عامر لمّا رأوا استبداده بالسلطة وحجره للخليفة هشام المؤيد(٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)[*]، بهدف السيطرة

---

[*] احمد بن العطار: هو احمد بن عبدالله بن سعيد الاموي، من اهل قرطبة، يُعرف بابن العطار، ويقال له صاحب الوردة، يُكنى ابا عمر، حدّث عن محمد بن وضاح وغيره، توفي في شوال سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج١، ص٩٤-٩٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، مج١، ص٢٠٧.

[*] قاضي الجماعة: هو لقبٌ أُطلق على رئيس الجهاز القضائي الأعلى في الأندلس الأموية، وهو منصبٌ يعادل منصب "قاضي القضاة" في المشرق، وذلك للتخلص من النهي الوارد عن التسمي بقاضي القضاة، وله صلاحيات واسعة تشمل الإشراف على القضاة الآخرين، وقد كان له دورٌ هام في نشر المذهب المالكي في الأندلس. ينظر: مؤنس، شيوخ العصر في الاندلس، ص١١.

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٨.

[*] عبدالملك بن منذر: هو عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي، من اهل قرطبة يكنى أبا مروان، سمع من ابيه ومن غيره، وولى خطة الرد، وكان مولده سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج١، ص٣٦٥.

[*] هشام المؤيد: هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن، يُكنى ابا الوليد، أمه ام ولد اسمها صبح وهي جارية بشكنسية من نِافار رائعة الحسنِ والجمال، شغف بها الخليفة الحكم، وولدت له هشام بن الحكم، وكانت سبباً في التحولات السياسية في الأندلس، وكان عمره عشرة اعوام عندما تولى الخلافة، كان في طول دولته لا ينفذ له أمر، مما سمح للطامعين للحكم أمثال الحاجب المنصور بن ابي عامر وغيره في تنفيذ اهدافهم بحكم الاندلس، امتدت خلافته الاولى من سنة (٣٦٦هـ/٩٧٩م) وحتى اندلاع الفتنة القرطبية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م)، أما خلافته الثانية فكانت من سنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م) وحتى مقتله سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م). ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٤٦-٤٧؛ ابو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد توفيق عويطة، ط٣، (القاهرة-لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٣م)، ص٧٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٧٧.

على حكم الاندلس، حيث كانت المؤامرة تتضمن تولية عبدالرحمن بن عبيد الله الناصر منصب الخلافة على الاندلس بدلاً عن الخليفة هشام المؤيد[١]، لكن المنصور بن ابي عامر اكتشف خيوط تلك المؤامرة، عندما ضبط رسالة عبدالملك بن منذر تتضمن قتل الخليفة هشام المؤيد، فسارع المنصور بن ابي عامر في افشال المؤامرة[٢]، والقضاء على مدبريها، بأسلوب يتسم بالفطنة والحكمة لاسيما والمكانة التي كان يتمتع بها القاضي عبدالملك بين المسلمين، فجمع المنصور الفقهاء للنظر والافتاء في الحكم الشعري الذي سيطبق على المتآمرين، فاقترح الفقهاء ان تطبق عليهم احكام الآية القرآنية الكريمة إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) [٣].

فاخذ المنصور برأي الفقهاء وامر بصلب عبدالملك بن المنذر على باب سدة السطان في مدينة الزهراء، وكان ذلك يوم الخميس بمنتصف جمادي الاخرة سنة (٣٦٨هـ/٩٧٧م)، وسُجِنَ بقية الفقهاء[٤].

**٣) دور الفقهاء خلال عصر الفتنة القرطبية (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣٠م)**

شهدت قرطبة في عصر الفتنة، تقلبات سياسية مختلفة فلقد تعرضت لصراع سياسي على منصب الخلافة، منذ ان اعلن محمد بن هشام[*] الثورة على هشام المؤيد وحاجبه عبدالرحمن شنجول[*]، التي انتهت بمقتل شنجول وتنازل المؤيد عن الخلافة لمحمد بن هشام، فلم تستقر الخلافة بتولي الاخير حيثُ توالى خلال عقدين من الزمن خمسة خلفاء، وهذا دلالة على عدم الاستقرار السياسي وبالتالي تدهور الاوضاع الاقتصادية بمختلف جوانبه.

اما فيما يتعلق بموقف الفقهاء من الخلفاء فلم تكن على مستوى واحد، فمنهم من ازدادت مكانته واصبحت له مكانة بارزة، محافظاً بذلك على مكانته السابقة في العصر العامري، ومنهم من بدأ بروزه مع مجيء خلفاء هذا العصر، وهناك من تراجعت مكانتهم بعد تميزهم في فترة من فترات

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٢٧٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٤) ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص٦؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مج١،ص٣٦٥.

(*) محمد بن هشام: هو محمد بن هشام بن عبدالجبار بن الناصر لدين الله، لُقب بالمهدي، تولى الخلافة بعد ان قضى على الحجابة العامرية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م) لقبه انصاره بالمهدي. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ج١، ص٤٤-٤٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٤، ص١٤٩-١٥٠.

(*) عبدالرحمن شنجول: هو عبد الرحمن بن الحاجب المنصور بن أبي عامر، كان شاباً مغروراً، احمقاً، طائشاً، وجاءت تسمية شنجول نسبة إلى سانشو جده لأمه وهي أميرة من مملكة نافار. ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢١٣؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٧٤، ٢٥٠.

هذا العصر، وهناك من لم يحظى باي مكانة تذكر.

حرص بعض خلفاء هذه الفترة في تقريب بعض فقهاء العصر العامري للاستفادة من مكانتهم وكسب تأييدهم، مثل ابن وافد[*] الذي تولى القضاء والخطبة في قرطبة ولقب بقاضي الجماعة وابي العباس بن ذكوان[*]، والهدف من ذلك ايضاً كسب تأييد العامة من خلالهم.

اتسمت مواقف العلماء بالتباين تجاه الخلفاء، فمواقف بعضهم كانت للحصول على مكانة رفيعة، وبعض اخر زهَدَ في التقرب من الحكام، ومنهم من اعتزل نأى بنفسه من الانخراط في فتنة هذه الفترة، لقد سعى بعض الفقهاء في الوقوف على الحياد من الخلفاء، فيصف موقفهم ابن حيان بقوله: "قد أصبحوا بين آكلٍ من حلوائهم، خائضٍ في أهوائهم، مستشعراً مخافتهم آخذ بالتُقية في صدقهم"[١] أي الخوف من بطش الحكام ومن تقلب امزجتهم والرغبة في السلامة من شرهم جعلت الفقهاء يفضلون التزام الحياد والبعد عن السلطة[٢].

نستنتج مما تقدم ان شريحة الفقهاء شكلت جزءاً فاعلاً من نسيج المجتمع الاندلسي، تتأثر به وتؤثر فيه، وتتفاعل معه كل حسب اجتهاده، فكانت مواقفهم في هذه الفترة محفوفة بالمخاطر بسبب تعدد الفتن التي اصابت جسد الخلافة، وتصارع المتنافسين على السلطة.

## الخاتمة

**من خلال كتابة هذا البحث توصلنا الى عدة استنتاجات مهمة نذكر منها:-**

- امتلك الفقهاء تأثيراً حقيقياً في الحياة العامة، وكان لآرائهم وقع لدى الحكام والجمهور على حد سواء، خصوصاً حين تصدوا للظلم بأسلوب شرعي رصين، فراحوا يهددون بها الحكام في حالة ما اذا لاحظوا انحرافاً ما.

---

[*] ابن وافد: هو يحيى بن عبدالرحمن بن وافد اللخمي، يُكنى ابا بكر كان ممن يرى عدم جواز اقامة الجمعة في الزاهرة مخالفاً لذلك ابن ابي عامر، فعزله عن الشورى. ينظر: ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص٢٥٧.

[*] ابي العباس بن ذكوان: هو احمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان بن عبدالله بن عبدوس ابن ذكوان الاموي، يُكنى ابا العباس، تولى خطة الرد من بعد والده عبدالله بن هرثمة، ثم قلده محمد بن ابي عامر قضاء الجماعة بقرطبة بعهد الخليفة هشام بن الحكم من سنة (٣٩٢هـ/١٠٠٢م) الى سنة (٤٠١هـ/١٠١١م)، كان عاقلاً اديباً عالماً باللغة والنحو حافظاً للمشاهد والايام ذا مروءة وافرة. ينظر: ابو القاسم خلف بن عبدالملك ابن بشكوال، الصلة، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١، (القاهرة-دار الكتاب المصري، بيروت- دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م)، ج١، ص٦٧-٦٨؛ ابن عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٦٦-١٦٧.

(١) ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة, القسم الثالث، المجلد الاول، تحقيق: احسان عباس، (بيروت-دار الثقافة، ١٩٩٧م)، ق٣، مج١، ص١٨٠-١٨١.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج١، ص١٠٦.

- ❖ تنوع موقف الفقهاء بين النصيحة والمعارضة والانسحاب يعكس نضجاً في التعامل مع السلطة وليس ضعفاً بل اتقاءً للفتنة ودفع المفاسد.
- ❖ رغم تعرض بعض الفقهاء للإقصاء او السجن او التهديد الا انهم لم يتخلوا عن دورهم الاصلاحي، مما يدل على رسوخ مبدأ المسؤولية الشرعية لديهم.
- ❖ الرقابة الشرعية على السلطة خلقت نوعا من التوازن في المجتمع وهذا بفضل مكانة الفقيه في الحضارة الاسلامية في الاندلس كونه عنصر مؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية وليس مجرد صاحب فتوى دينية.
- ❖ أيقن الامراء والحكام مدى أهمية مكانة الفقهاء لدى المجتمع الاندلسي في كثير من الاحداث والوقائع الامر الذي دفعهم في كثير من الاحيان الى التراجع عن أي قرار اصدروه وعارضه الفقهاء.

**قائمة المصادر والمراجع**

- **القرآن الكريم**

**أولاً: المصادر الاولية**

- **ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٨م)**

١. الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، (القاهرة- دار المعارف، ١٩٨٤م).

- **ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)**

٢. الكامل في التاريخ، ط١، (بيروت-دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).

- **ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)**

٣. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة, القسم الثالث، المجلد الاول، تحقيق: احسان عباس، (بيروت-دار الثقافة، ١٩٩٧م).

**-ابن بشكوال, ابو القاسم خلف بن عبدالملك (ت: ٥٧٨هـ/١١٨٢م)**

٤. الصلة، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١، (القاهرة-دار الكتاب المصري، بيروت- دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م).

- **ابن حزم, ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م )**

٥. جمهرة انساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، (مصر- دار المعارف، ١٩٤٨م).

٦. رسائل ابن حزم، الجزء الثاني، تحقيق: احسان عباس، ط٢، (بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م).

- **الحموي, ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)**

٧. مُعجم البلدان، (بيروت-دار صادر، ١٩٧٧م).

- **الحميدي, ابي عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الازدي (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)**

٨. جذوة المُقتبس في تاريخ علماء الاندلس, تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١، (القاهرة-دار الكتاب المصري، ١٩٨٩م).

- **الحميري, محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)**

٩. الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس, (ط٢, بيروت-مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

- **ابن حيان, ابو مروان بن خلف القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)**

١٠. المقتبس في اخبار الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (القاهرة-لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٩٤م).

- **الخشني, ابو عبدالله محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت:٦٦١هـ/٩٧١م)**

١١. قضاة قرطبة, تحقيق: ابراهيم الابياري, ط٢, (القاهرة-دار الكتاب المصري, بيروت-دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م).

- **ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت: ٧٧٦هـ/٩٧١م)**

١٢.اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١, بيروت-دار الكتب العليمة، ٢٠٠٣م).

- **ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)**

١٣. تاريخ ابن خلدون المُسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في ايام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت-مؤسسة جمال، ١٩٧٩م).

- **ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد (ت: ٥٢٩/ ١١٣٥م)**

١٤.مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط١، (دمشق-دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م).

- **الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٧٤)**

١٥. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شُعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٢، (بيروت-مؤسسة الرسالة للنشر، ١٩٨٢م).

- **السجستاني، سليمان بن الاشعث بن إسحاق بن بشير الازدي (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م)**

١٦.سنن ابي داود، تحقيق: رائد بن صبري ابن ابي علفه، ط٢، (الرياض–دار الحضارة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

- **ابن سعيد, ابو الحسن علي بن موسى المغربي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)**

١٧.المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة–دار المعارف، ٢٠٠٩م).

- **الشقندي، اسماعيل بن محمد (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م)**

١٨.رسالة في فضل الاندلس، كتاب ثلاث رسائل في فضائل الاندلس واهلها، نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد، (بيروت–دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م).

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايباك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)**

١٩.الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (بيروت–دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م).

- **الضبي, احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)**

٢٠.بُغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط١، (القاهرة–دار الكتاب المصري، بيروت–دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م).

- **ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م)**

٢١.البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ( بيروت–دار صادر، ١٩٥٠م).

- **ابن عياض، القاضي عياض بن موسى السبتي (ت: ٥٤٤هـ/١٠٥٣م)**

٢٢.ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ط٢، (المملكة المغربية– وزارة الاوقاف، ١٩٦٨م).

- **ابن غالب، ابو عبدالله محمد بن ايوب (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م)**

٢٣.فرحة الانفس في تاريخ الاندلس (نشر بعنوان نص اندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الانفس لابن غالب عن كور الاندلس ومدنها ما بعد الاربعمائة)، تحقيق: لطفي عبد البديع، (القاهرة–مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥م).

- **ابن فرحون، ابراهيم بن نور الدين المالكي (ت: ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)**

٢٤. الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، ط١، (بيروت– دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).

- **ابن الفرضي، ابو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢م)**

٢٥. تاريخ علماء الاندلس, تحقيق: بشار عواد, ط١، (تونس، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٨م).

- **ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م)**

٢٦. تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، (القاهرة-دار الكتاب المصري، بيروت- دار الكتاب اللبناني، **١٩٨٩م**).

- **مؤلف مجهول**

٢٧.ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، (مدريد-المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، **١٩٨٣م**).

- **المراكشي، ابو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)**

٢٨. المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد توفيق عويطة، ط٣، (القاهرة-لجنة احياء التراث الاسلامي، **١٩٦٣م**).

- **المقري، ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)**

٢٩.نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, تحقيق: احسان عباس, (بيروت-دار صادر، **١٩٨٨م**).

- **النباهي، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الاندلسي (ت: ٧٩٢هـ/١٣٩٠م)**

٣٠.تاريخ قضاة الاندلس، ط٥، (بيروت- منشورات دار الآفاق الجديدة، **١٩٨٣م**).

- **النويري، شهاب الدين احمد (ت: ٧٣٣هـ/٩٤٨م)**

٣١. نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: عبدالمجيد ترحيني، ط١، (بيروت-در الكتب العلمية، **٢٠٠٤م**).

**ثانياً: المراجع العربية والمعربة**

- **بدر، احمد**

١.تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري(عصر الخلافة)، (دمشق- مطبعة الف باء-الاديب، ١٩٧٤م).

- **السباعي، مصطفى**

٢.من روائع حضارتنا، ط١، (القاهرة-دار السلام، ١٩٩٨م).

- **طه، عبد الواحد ذنون طه**

٣.أبحاث في تاريخ المغرب والاندلس، ط١، (الاردن، عمان- دار الحمد للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م).

- **عاشور، سعيد عبدالفتاح وسعد زغلول عبدالحميد واحمد مختار العبادي**

٤.دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، (القاهرة-دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م).

- **العبادي, احمد مختار**

٥.في تاريخ المغرب والاندلس، (بيروت-دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م).

- **عويس, عبدالحليم**

٦.التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، (القاهرة–دار الصحوة، ١٩٩٤م).
- **الكبيسي، خليل ابراهيم**
٧.دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصري الامارة والخلافة، ط١، (بيروت–دار البشائر الاسلامية، ٢٠٠٤م).
- **ملحم, محمد فيصل**
٨. صفحات من تاريخ الدولة الاموية والاندلس، ط١، (دمشق–دار الفيحاء، ٢٠٠٤م).
- **مؤنس، حسين**
٩. شيوخ العصر في الاندلس، (القاهرة–المكتبة الثقافية، ١٩٦٥م).
- **نورالدين, رانيا عدلي**
١٠. قرطبة عروس الاندلس، (د.م–عصير الكتب للنشر، ٢٠٢٠م).

**ثالثاً: الدوريات**

- **مختار، عمارة**
١. الدور السياسي للفقهاء المالكية في الاندلس خلال العهد الاموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، (الجزائر، المدية–جامعة يحيى فارس، ٢٠٢١م).

**-ميلود، بن حاج**
٢. علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في الحياة السياسية بالأندلس ما بين القرنين ٢-٥هـ/٨-١١م (عصري الامارة والخلافة الأموية)، مجلة دراسات وابحاث المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد ١٠، عدد٤، (د.م–جامعة الجفلة، ٢٠١٨م).

**رابعاً: المراجع الاجنبية**

**References:**

١. Provencal: E.Lévi : History De L' espagne Musulmane Tome Premier La Conouete Et L'emirat Hispano-Umaiyade (٧١٠-٩١٢), Paris, Ed. Gp. Maisonnevve. Leiden, E.D.J.Brill, ١٩٥٠.